

من التراث السرياني القديم

نحفة إخره ولا جصبتا قذتا يعقوب الأب صورة للمسيح الرب

بلسم غانم الشماني
سكرتير التحرير

مقدمة:

في العدد التاسع من هذه المجلة نشرنا الجزء الأول من هذا الموضوع الذي يتضمّن قصيدتين للسروجي والذي قمنا بتحليل وتفسير القصيدة الأولى التي كانت تحمل عنوان (وحا لحمه ومحفة وحده لبأ أي في اللحم الذي رآه يعقوب في بيت إيل) تك ٢٨: ١-٢٢. وقد طرقتنا باب الحديث عن أسلوب السريان في شرح وتفسير الكتب المقدسة بالإضافة إلى سيرة الملفان يعقوب السروجي ومؤلفاته وأسلوبه اللغوي والتفسيري.

ولأن القصيدة الثانية هي مكمّلة للقصيدة الأولى والتي تحمل عنوان (وحا حذو محفة: ححا حبالاً هوسا: ححا جلا هصههلا^٣ أي في ربنا ويعقوب، الكنيسة وراحيل، لينة والمجمع) تك ٢٩: ١-٢٥ وجدنا أن نعلق عليها أيضاً ونثبت كيف أن يعقوب أب الأسباط الإثني عشر هو ظل للسيد المسيح من جوانب عديدة.

^١ الأب = تعني الأب الجسدي ، الأب = تعني الأب السماوي.

^٢ حبالاً = كنيسة الأمم والشعوب من جميع الأجناس والأعراق.

^٣ حهههلا = المجمع ويقصد به تحديداً خيمة الإجتماع أو جماعة اليهود أو شعب الله المختار.

ولكي يكون هذا الموضوع متكاملًا ومترابطًا، لابد لنا أن نوضح بعض الأمور الهامة التي تناولها السروجي في قصيدته أعلاه.

لقد كان لسعة الخيال الذي تميّز به السروجي بعداً مكّنه من التحليق بفكره في سماءٍ لا حدود لها، فيجتمع كل من عقله وروحه ليفض بوجوده علينا بأجمل الأفكار والإستعارات والتشابيه .. وهكذا نجده يفسّر:

فبينما يصف إرسالية يعقوب أب الأسباط بدءاً من نزوله من بيت أبيه إلى أرض حاران مع تفاصيل معاناته في الطريق وعودته ثانية. نراه يجعلها ظلاً لإرسالية السيد المسيح بنزوله من السماء إلى العالم مع ما كابده من الآلام وصعوده إلى السماء.

كما يضع عصا يعقوب التي رافقته طوال طريقه والتي رعى بها أغنامه حيث قادها وحفظها ودافع عنها في محل الصدارة إذ ربطها بعصا السيد المسيح الرعوية حيث هو الراعي الصالح. وهي بالتالي خشبة الصليب التي خلص بها أغنامه من الهلاك.

أما الحجر الكبير الموضوع على فم البئر التي كانت أغنام راحيل والحرائين الظمأى تنتظر من يدرجها (مثل يعقوب) كي تشرب وترتوي، فقد وصفها على أنها الخطيئة الثقيلة الموضوعة على قلب الإنسان والتي أغلق بسببها ينبوع الحي، وقد جاء السيد المسيح ودرجها بقوته الذاتية وفتح ذلك ينبوع وأرتوت منه البشرية جمعاء.

ثمّ نراه يربط بكاء يعقوب على راحيل بكاء السيد المسيح على شعبه (على أورشليم)، فكما خطب يعقوب حبيبته راحيل بجهد وعرقه وسني حياته هكذا السيد المسيح الذي بذل نفسه وبآلامه ودمه المسفوك خطب لنفسه الكنيسة.

ولا يكتفي السروجي بهذا، فنجده يخلق في سمائه لبيبين لنا كيف أن يعقوب الأب يؤسس كنيسة بإلهام الروح القدس، فيمارس بعض الأسرار الكنسية الخاصة برجال الكهنوت، منها:

سر المعمودية: فبينما يدرج يعقوب الحجر عن فم البئر إنما يفتح لراحيل معمودية لتغتسل بها (جس حصب:لا ه محصه:بلا واهسا لمح.....) وهي ظلّ لمعمودية العهد الجديد الذي فتحها السيد المسيح من جنبه مزيجاً من الماء والدم.

سر الميرون: عندما صبّ يعقوب الزيت على الحجر الذي أقامه في البرية إنما شرع ببناء كنيسة الله على صخرة إيمانه (بيت الله جبلا لبلا) ككنيسة العهد الجديد التي تكرّس إلى هذا اليوم بزيت الميرون المقدس، مشحة الروح القدس. (جم هه حرقلا محصه وحبلا بنه: وجم هه طافلا هلباب محصا بصر حلا وبعه: وبعه لهفصلا وحبلا محص هه:لا*).

سر الكهنوت: لقد مارس يعقوب سرّ الكهنوت عندما صبّ الزيت على عمود الحجر، لأن تكريس الكنيسة هو من اختصاص الكاهن فقط، وهذا يعني أن يعقوب في ذلك الحلم اقتبل سرّ الكهنوت من الله (سالا وحا صهلا حصبه: حابلا محصه: هحم هه ووهلا حصب وحبسه:لا*).

سر الزواج: إنّ زواج يعقوب من راحيل كان مقابل مهر كبير وهو الجهد والتعب والألم حيث كان زواجاً مباركاً. هكذا كان مهر السيد المسيح لكنيستته بالآلام وسفك الدم لتكون له مقدسة بلا عيب. فإن كانت راحيل الوثنية كما يشير السروجي قد تقدّست ببيعقوب فكم بالحري كنيسة الأمم تتقدّس بربّ يعقوب؟! (ل) فب وسملا حصلا محصه مريملا ٢٥٥: حربلا حصصلا حصبه: ومحصه صصلا لاهسا).

تحليل القصيدة:

وَجَلَّ قَدْرُ هِنَحْمَدَ: جِبَالًا هَوْسًا: جِنَا هُصْبَهْدَا
في الرب ويعقوب، الكنيسة وراحيل، ليئة والمجمع

تتألف هذه القصيدة من ١٧٣ بيتاً، وتحمل الرقم ٧٥ في مخطوط سرياني. تتحدث عما ورد ذكره في سفر التكوين ٢٩: ١ - ٢٥. وتتناول هذه القصيدة في مطلعها طريق ابن الله التي رُسمت بالأسرار ونُقشت فيها الخفايا.. وكيف سخرت العناية الإلهية أناساً أبراراً كي يعدّوها بعملهم الدؤوب أمام الختن السماوي، كيما يأتي ويخطب الكنيسة لنفسه.. ويوضح لنا كيف أن لكل من يعقوب وراحيل وليئة دور مهم في إعدادها. ثم يدخل في صلب الموضوع مستعرضاً حدث العهد القديم الذي خلاصته: ذهاب يعقوب إلى أرض حاران ابتداءً من المكان الذي فيه تجلّى له الرب (ص ١٥٠ بيت إيل)، ليخطب لنفسه راحيل ابنة خاله لابان الآرامي.. وعند وصوله مشارف الحرانيين التقى براحيل وحيّاهما بالقبيل والدموع بالقرب من بئر الماء المسدودة فمها بحجر كبير..

وكانت قطعان الغنم مع رعاتها تنتظر قطع راحيل ليجتمع الجميع على دحرجة الحجر الكبير من على فم البئر ليسقوا غنمهم، ثم يرجعونها إلى مكانها.. وعند سماع لابان بخبر يعقوب رحّب بقدومه ودعاه ليعش معه تحت سقفه. فعقد يعقوب مع خاله عهداً بأن يخدم في بيته سبع سنين مقابل راحيل الجميلة ابنته الصغرى. لكن لابان لم يف بعهده إذ بمكره أعطاه ليئة الأخت الكبرى لراحيل.. فعاتبه يعقوب على فعلته.. وعاد وخدم سبع سنين آخر، وأخذ راحيل التي أحبها كثيراً.. وكانت راحيل حسنة الصورة جميلة المنظر وأماً ليئة فقد كانت ضعيفة البصر.. وبرّر لابان فعلته بحجة أن لا تُعطي الصغرى قبل الكبرى بحسب عاداتهم.

حزبه كحمة حلا؛ وساه:؛ وبخبا: هه حافا وبملا به به حه حتا؛
ساره حافا اصحا وسلا فدهه هه حه: ويلا وبملا ويحبهلا هبملا
حتا؛).

● أسرار الكنيسة موضوعة في وجه راحيل:

إن أسرار الكنيسة، كما يقول السروجي، موضوعة في وجهها (راحيل) كالبثور، ولهذا أسرع خطيبها يعقوب للقاءها، أما جماعة الأمم (أهل راحيل) فقد تجاهلوا جمالها بينما يعقوب انتبه إليه، فدرج الحجر العظيم عن البئر وسقى الغنم لأنه ميز جمال خطيبة الأسرار من بين رفيقاتها، ومن أجل راحيل شربت هناك كل القطعان، وصارت بجمالها ومحبتها وبهاءها علة لذلك (أور؛ وحبا) صبر هه حافتة أس حبهلا: هحهه موحلة ههه هه محبهه حافا محفة؛ صبهه محفظا حهه حبا سقا موفتا ليهه: هه نارا حه محفة بلحبه حلا بسلا؛ حافا؛ حلا هه به حبا هاهب حتا؛ وسلا؛ واما محبهلا؛ وأورا به بحتاه؛ كأورا حهه؛ اهلبه لمح محلا؛ وسلا؛ وهه حلا حههه هه حههه هه حهههه؛).

● هل اشتهى يعقوب جمال راحيل جسدياً؟

هنا يعلق السروجي على نقطة مهمة من هذا الحدث وينبئنا إليها، وهي عن اللحظة الأولى التي التقى بها يعقوب براحيل ابنة خاله حيث عانقها وقبلها، وناقش نوع هذه القبلة من الناحيتين الجسدية الشهوانية والروحية الخالصة، ويقول:

لا تظن يا بني أن يعقوب اشتهى راحيل جسدياً، لأنه حين قبلها بكى بكاءً بألم شديد (لا حه؛ لهه؛ وهه؛ نابه؛ وهه محمه؛ وأه ص بعمه مححا حلا هه حافا؛).

حرمه احسه ححباه ح فم حه ة اف وحتا حح لحبده ووحا اسح:
والا ححلا لا ححححح حح ححلا).

• طريق يعقوب و طريق المسيح:

يربط ملفاننا بين ألم يعقوب وألم السيد المسيح الفادي بقوله:
إذن، لقد كان بكاء يعقوب يشير إلى الألم العظيم الذي خُلصت به كنيسة
الأمم. فانتظر إلى ربنا الذي جاء إلى العالم من عند إبيه (الآب السماوي)،
وأخلى ذاته تواضعاً ليُعدَّ طريقه (الكفاري) (حرمه يحسه وحابلا محمده
لحده هه: وسلا حح وحبلا وحمملا حه لاهملا لا ساب ححح ووالا
حححلا حح رب احه هه: هحهم بعمه وبعده واهسه مححبابله).

• الحجر الكبير على فم البئر هو الخطيئة على الينبوع

الحي:

نلاحظ طريقة تفسير السروجي وربطه للأحداث بقوله:
لقد رأى (المسيح) الخطيئة موضوعة على ينبوع العالم، وليس من ساق
حيّ يروي البشر. ونظر إلى الأمم كالقطعان العطشى، ونبع الحياة مسدود
بالخطيئة كحجر (سده ححلبلا وحا محمده وحملا حححلا: هلا ابله
ححلا وستا لاتما بحهم انا) بلا هه ححححلا اس حححلا حححلا وحا:
وححلا وستا ححح ححلبلا اس وحملا).

• الكنيسة هي راحيل:

نظر (المسيح) إلى الكنيسة كأنها راحيل وهبّ للقائها، وكالحجر دحرج
الخطيئة الثقيلة. وفتح لخطيئته (الكنيسة) معمودية لتغتسل بها، وأخذ الماء
وسقى أمم الأرض كالقطعان. رفع بقوته العظيمة ثقل الخطايا، وكشف عن
النبع العذب أمام كل العوالم. فمن أجل الكنيسة جميع الأمم شربت، مثلما شربت

وحاؤرا: ههجه كح لهجه وحمفد هسب لاهزحه* مجله سفا ححنا
 حانا ححلا لها: ههجب وحبب لاهه حمفه حلا فوحسه*.)
 وكان السروجي كان متواجداً عند عقد تلك الإتفاقية، فنراه يتحدث عنها
 كأحد الحضور في وقت انعقادها، بقوله:

يقول لابان: ما أجرك (يا يعقوب) كما هو متبع؟ فليس حسن أن تعمل
 عندي مجاناً. يجاوبه يعقوب: أعمل لديك مقابل راحيل ابنتك الصغرى، فهبني
 إياها من بين النساء فهذا هو أجري المناسب. فأعمل سبع سنين مقابلها دون
 أي شيء آخر. وهذا هو أجري الذي أريده منك لتهبني راحيل ابنتك متى
 خدمتك بإخلاص (أخذ كح فحه لاهم بهه ربب: ولا ههجا وحمف
 لاهه ل ربه لاهه: أخذ حمفد ححلا: وسلا فله لاه حو: وحمفلا
 حلام ههجب ححلا ههجا بهه لاهه ححلا ححمتا لاهه ححلا ححلا
 وسلا: ههلا لاهه حح لا ححلم الا لاهه بهه لاهه لاهه وحملا لاه حو
 لاهل حح: وسلا حلام حلا وحمفلام ححلا*.)

● صورة المسيح وكنيسته تكتمل في يعقوب وراجيل:

يفسر السروجي ما جاء أعلاه في العهد القديم على أنه سر يرتبط حدثه
 بالعهد الجديد أي: يعقوب وراجيل مع المسيح والكنيسة، ويقول:
 هنا اكتملت جميع صور ربنا، فمن أجل الكنيسة وهب نفسه للعمل العظيم
 (الكفاري) وأجرة محبة ابن الله كانت الآلام، وبجراحاته خطب الكنيسة
 المتروكة. ومن أجل هذا فإن الذي كفر بالأصنام تألم فوق الصليب، وبعد أن
 كابد المشقات أصبحت له (الكنيسة) مقدسة (هه ححلا ححه لاهه وحمف
 لاهه هه: وسلا ححلا لاهه بهه هه ححلا ححلا: ححلا لاهه
 حح لاهه ححلا بهه: وحمفلا لاهه بهه ححلا وحمفلا لاهه ححلا لاهه
 ححلا ححلا بهه ححلا: وحمفلا ححلا لاهه بهه ححلا وحمفلا لاهه ححلا لاهه ححلا).

حده حنا سقا موفتا ليهما: هب ننا حده محفد بلحب حلا نرسا
 حافا وحلا هف جج حنا هاهب حنا: وسلا وفلا محبنا واورا جج
 نحتنا: حاورا حده اهدب لامح صلا وسلا: ولسا حلا حمة
 سعدة هفنا: لا حنا اهدب وفنا حده محفد: واه ح
 نعمة محط حنا هسا حنا: كج فسا هب لا اغر هسا ومخا
 لامح: وفنا نجا فسا حمة: احصا سعا موح حده ح
 اف حنا: هلا املا واب حنا حمة فسا حمة: فح محفد
 لا هسا حنا حمة: الا حنا واورا: ونا حنا حمة هسا
 فح حمة: هف حنا الا محفد: واورا وجرالا بنا حده حنا ح
 حمة: اف روم هسا وحقا هيسا ح نفا حده: وه حة سعة: ونا
 نهم حمة: حمة: ولسا حنا حمة: ونا حمة: ونا حمة
 هسا حنا هف هسا حة الامح: هسا حنا حة واورا: ونا جج
 حمة: هسا حمة وسلا حنا حمة: محفد ومخا حده
 هسا حنا حة: حمة حمة احسة حنا حة: فني حده
 اف ومخا حمة لخبده ووملا انا: والا حنا لا حمة: جج حنا
 حمة حنا: حنا محفد لخبده هسا: وسلا حنا وجرالا وحقا حده
 انا: لا سب حمة: والا حنا حمة رب احده: هفني نعمة
 وهدده واورا حمة: ساه حنا حمة: حمة حمة: حمة حمة:
 هلا انا حنا وستا لاتما نهم انا: بنا هسا حمة حنا حنا
 حنا حنا: حنا وستا حمة حنا حنا: بنا هسا حنا حنا
 انا ولسا هف لاه حده: هسا وحقا حمة حنا حنا: ولسا
 فسا حمة حنا حمة ولسا لامح: هولا هاهب انا حنا حنا
 حمة واورا: حنا حمة هسا وسلة حمة: حنا: هلا حنا
 حمة حنا حمة: حمة حمة حمة حنا حنا حمة:
 انا حنا حمة وسلا حمة: حمة: حنا حنا حنا حنا حنا

